(( **تقلبات الحياة الدنيا** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله يضع ويرفع، ويعطي ويمنع ، ويصل ويقطع

هذي الخرادل ليس يخفى كُنهُها

عمَّن لصوت النمل ليلا يسمع

سبحانهُ! سَكَنَاتُ هذا الكونِ ساجِدَةٌ

وخاضعة له وبكل ذُلٍّ تركع

سبحانهُ! في ذرَّةٍ أو رملةٍ

ملكوتُه فيها يهيم ويخضع

سبحانهُ! عِلْمٌ أحاط بكل شيء كائنٍ

لا يعزبنْ عن علم ربي موضعُ!

وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون، وأشهد أنّ سيدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله ، خير من وطئ الثرى من كل إنسٍ ناطق أو جان .

هو أحمد البركات ليس كمثله

في الأنبياء وفي الخليقة ثان

صلى السهى صلى الضحى

صلى العلا لك يا نبي الله والثقلان

فاللهم صلِ وسلّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد .

ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ آل عمران: ١٠٢

هل تعرضت يوماً لصدمةٍ من صدمات الحياة الدنيا؟

هل عشت فاجعة من فواجع الحياة الدنيا ؟

كم مرة حزنت في هذه الدنيا ؟

أما نزل بك همّ وكرب ؟

أما عشت ألماً وأملاً ؟

أما سكبت العبرات ندماً وحزناً وفرحا وسرورا ؟

تلك هي الدنيا تؤلمنا وخزاتها وجراحاتها وأخبارها

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

وتلك الأيام يداولها الله ما بين عسر ويسر ، وصحةٍ وسقم، وحزنٍ وفرح ، وغمٍّ ورضا .

وما بين غمضة عين وانتباهها ، يبدل الله من حال إلى حال .

أملاكٌ تحول، ومناصبٌ تزول، ودولٌ تدول، وكراسي بأصحابها تدور ، الله أكبر كم من كراسي ملئ بأصحابها !

فزالوا كأن لم يملئوهن ليلةً

وأمرك يا ألله: كُنْ فيكونُ

حُكيَ عَن شيخٍ مِن همدان قال بَعَثَني أهلي في الجاهليةِ إلى ذي الكِلاعِ الحميري بِهدايا فَمَكَثتُ شهراً لا أصِلُ إليهِ ؛ لعظم مكانته ،ولصعوبة الوصول إليه ، ثُمَّ بَعدَ ذلك أشرفَ أشرافةً مِن كُوَّةٍ فَخَرَّ لَه مَن كان حَولَ القصرِ سُجدّا .

قال الراوي : ثُمَّ رأيتُهُ بعد زمن وقد هَاجرَ إلى حِمص واشترى بدرهمٍ لحماً وهو في حالةٍ من الفقر والضعف والمسغبة يردّد بهذه الأبيات

أفٍ لدُّنيا إذا كانت كَذا

أنا مِنها في بَلاءٍ وأذى

إنْ صَفا عَيشُ امرئٍ في صُبِحِها

جَرَّعَتهُ مُمسيا كأسَ الرَدى

ولقد كنت إذا ما قيل مَن

أنعم النَّاس معاشًا قيل ذا

ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ آل عمران: ١٤٠

وكأن حاله يقول :

فيما مَضى كُنتَ بِالأَعيادِ مَسرورا

فَساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مَأسورا

قَد كانَ دَهرُكَ إِن تأمُرهُ مُمتَثِلاً

فَرَدّكَ الدَهرُ مَنهيّاً وَمأمورا

مَن باتَ بَعدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ بِهِ

فَإِنَّما باتَ بِالأَحلامِ مَغرورا

وهذا أبو الحسن التَّهامِيُّ من كبار شعراء العرب، نعته الذهبي بشاعر وقته ، كان في بداية حياته من الضعفاء الفقراء، ثم برز نجمه وانتقل إلى مصر واستولى على أموالها وصار له شأنٌ كبير حتى تطلّع للرئاسة ودنا منها ، ثم دارت الأيام وغدر به بعض أصحابه ، وأودع السجن ، ومات ابنه الأحبّ إلى قلبه ، فتقلبت في نفسه الآلام والآمال ، وعاش حياته بين نعيم وبؤس ، وعلوٍّ ونزول ، فأنشد قبل موته قصيدة وصف فيها الحياة الدنيا وغرورها وزينتها ، ومتاعها ، وآلامها ، ونهايتها فقال :

حـكـمُ المنـيَّـةِ فـــي الـبـريَّـةِ جـــار

مـــا هـــذه الـدُّنـيــا بــــدار قــــرارِ

بيـنـا يُــرى الإنـسـانُ فيـهـا مُخـبـراً

حـتَّـى يُــرى خـبـراً مــن الأَخـبــارِ

طُبِعَـتْ علـى كَــدَرٍ وأنــت تريـدهـا

صـفــواً مـــن الأقـــذاءِ والأكـــدارِ

وإذا رجـــوتَ المسـتـحـيـلَ فـإنَّـمــا

تبـنـي الـرجـاءَ عـلـى شفـيـرٍ هـــارِ

فالـعـيـشُ نــــومٌ والـمـنـيَّـةُ يـقـظــةٌ

والــمــرءُ بيـنـهـمـا خــيــالٌ ســــارِ

فـاقْـضـوا مـآربـكـم عِـجــالاً

إنَّــمــا أعـمـارُكـم سَـفَــرٌ مـــن الأســفــارِ

كَانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وُجُوهِهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ فَقَالَ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» رواه أحمد وصححه ابن حبان .

معاشر المؤمنين .. نحن في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، والشرّ إلاّ إقبالاً .

والدنيا تتقلب بنا من حال إلى حال فالقلوب ضعفت والفتن ظهرت ،والشواغل والملهيات كثرت ، وصدق رسول الله «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ» رواه البخاري .

فدوام الحال من المحال، وتقلبات الليالي والأيام الماضية في كلّ زمانٍ ومكان .

فالدنيا تتقلب فقد يصبح الفقير غنياً ، والغنيّ فقيراً ، والعزيز ذليلاً ، والذليل عزيزاً ، والملك مملوكاً ، والعبد سيداً ، قد يطيب المريض ، ويموت الطبيب ويحمل الشيخ الكبير جنازة الشاب والطفل الصغير فالدنيا لا تستقرّ على حال ولا يدوم لها شأن .

فكلٌّ منّا لو كشف الغطاء عن وجهه لرأى من تقلبات الحياة ما لم يخطر له على بال .

فهذه هِنْدُ بِنْتُ النُّعْمَانِ تقول : لَقَدْ رَأَيْتنَا وَنَحْنُ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ وَأَشَدِّهِمْ مُلْكًا، ثُمَّ لَمْ تَغِبْ الشَّمْسُ حَتَّى رَأَيْتنَا وَنَحْنُ مِنْ أَقَلِّ النَّاسِ ، فسألها رجل عن أمرها فقالت : «أَصْبَحْنَا ذَا صَبَاحٍ وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إِلَّا يَرْجُونَا، ثُمَّ أَمْسَيْنَا وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إِلَّا يَرْحَمُنَا»

فأيّنا معاشر المؤمنين سلم من تقلّبات الحياة الدنيا

ثمانيةٌ تجري على المرءِ دائمًا

ولا بدَّ أن المرء يلاقي الثمانية

سرور وحزنٌ واجتماع وفرقةٌ

ويسرٌ وعُسرٌ ثم سقم وعافيَة

فكم من حبيبٍ ودّعناه ؟

وكم من أبٍ دفنّاه ؟

وكم من أخٍ بكيناه ؟

وكم من صحةٍ فقدناها ؟

وآلامٍ تجرعناها ؟ وديونٍ تكبدناها ؟

أيّنا لم يشتكِ من غدر قريب ، وإساءة صديق ؟

أيّنا لم يعان من عقوق ابنٍ، وظلم ظالمٍ، واعتداء متسلط ؟

أيّنا لم يعان في بيته من خلاف أسري ، وشقاقٍ بشري تنغصت فيه الحياة ، وتكدّرت فيه النفس ؟

كلّنا يا كرام .. عشنا الدنيا بآلامها وآمالها

ورحم الله الشاعر وهو يقول :

عـلـمـتني الحياةُ أنَّ لها طعــمَـيـن

مُـراً، وسائغاً معسولا

فـتـعـوَّدتُ حـالَـتَـيْها قريرا

وألـفـتُ الـتـغـيير والتبديلا

أيـهـا الـناس كلُّنا شاربُ الكأسَـيـن

إنْ عـلقماً وإنْ سلسبيلا

فـأراهـا مـواعـظـاً ودروسا

ويـراهـا سـواي خَـطْباً جليلا

ويـطول الصراع بين النقيضَيــنِ

ويَـطوي الزمانُ جيلاً فجيلا

فـذلـيـلٌ بالأمس صار عزيزا

وعـزيـزٌ بـالأمس صار ذليلا

ولـقـد يـنـهض العليلُ سليما

ولـقـد يـسـقـطُ السليمُ عليلا

عـلـمـتـنـي الحياةُ أنيَ مهما

أتـعـلَّـمْ فـلا أزالُ جَهولا

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

من هنا عباد الله ،، تعالوا بنا لنقرأ في كتاب ربّنا الأوصاف التي وصف الله بها الحياة الدنيا فوصفها سبحانه بأنها لهوٌ ولعب فقال : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭼ العنكبوت: ٦٤

ووصفها بأنها متاع فقال سبحانه : ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ غافر: ٣٩

ووصفها بأنها قليل فقال سبحانه : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ التوبة: ٣٨

وصفها بأنها زينة فقال سبحانه : ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭼ الحديد: ٢٠

وصفها بأنها غرور فقال سبحانه ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ فاطر: ٥

فحذاري ثم حذاري أن ننشغل بالخسيس عن النفيس .

حذاري ثم حذاري أن نلهو بالفاني عن الباقي . حذاري ثم حذاري أن نتباغض ونتعادى ونتدابر ونتقاتل لأجلها

حذاري ثم حذاري أن نتباهى بحطامها ولهوها عن الآخرة ونعيمها وأهوالها .

كان مصعب بن عمير من أسرةٍ غنيةٍ عريقةٍ في الترف والغنى ، بل كان من أجمل شباب مكة أناقةً وتجمّلاً، فكان يتقلّب في نعومة الملبس ، والمطعم ، والمشرب ، وتفوح منه رائحة المسك ، حتى قال: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ»

ثم أعرض عن هذا المتاع الزائل ، وأقبل على الآخرة ، فكان سفيراً لرسول الله في طيبة الطيبة ، وحاملاً بلواء المسلمين في غزوة أحد ، وشهيداً من شهداء تلك الغزوة المشهودة التي قال الله تعالى في شهدائها ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ آل عمران: ١٦٩

ووقف رسول الله على مصعبٍ الشهيد ، فذرفت عيناه ، وقرأ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭼ الأحزاب: ٢٣

ثم قَالَ: " اشْهَدُوا لِهَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ، أَوْ قَالَ: إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ "

ماذا خسر مصعب ؟

والله لم يخسر شيئاً بل ربح كلّ شيء، ربح رضوان الله عز وجل، ربح جنة الفردوس، ربح نعيماً مقيما،

معاشر المؤمنين ..

من اعتمد على الله كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استغنى به أغناه، والقناعة كنزٌ لا يفنى، والرضا مالٌ لا ينفَد، وقليلٌ يكفي خيرٌ من كثيرٍ يُلهِي، وكمال الرجل أن يستوي قلبُه في المنع والعطاء، والقوة والضعف، والعز والذل، وأطول الناس غمًّا الحسود، وأهناهم عيشًا القنوع، والحرُّ الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يُخرَج منها، وطول الأمل يُنسي الآخرة.

وفي الأثر " اعمل لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا ".